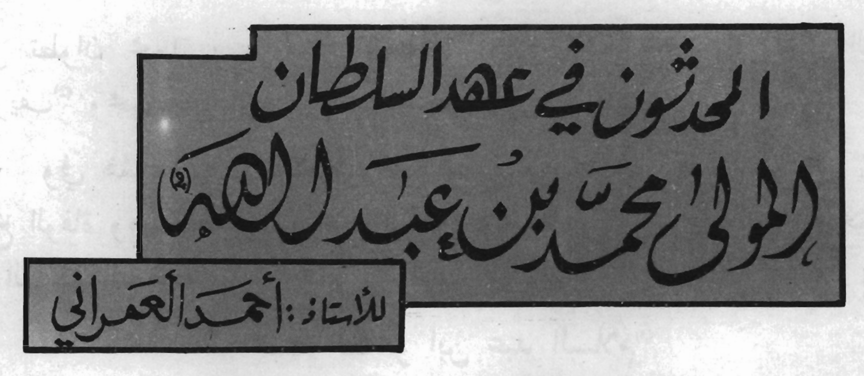


المحدثون المدعوون لنشر الحديث بمراكش

تمهيـد :

اتصفت المجالس الحديثية في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله من حيث التركيب والشكل بما يمكن تسميته بالنظام البرلماني حسب التعبير القانوني، إذ لم تقتصر هذه المجالس على أعضائها الملازمين للسلطان الموجودين بالمركز (مراكش العاصمة) ولكنها اشتملت كذلك على محدثين من مختلف المناطق المغربية، استدعاهم السلطان إلى مراكش لتكون مجالسه أكثر عطاء واستفادة، ونفس الشيء كان يقوم به في عهد الموحدين الخليفة يعقوب المنصور الموحدي، وهكذا شاركت هذه المناطق في المجالس الحديثية ممثلة في محدثيها وعلمائها، مثل فاس ومكناس والرباط وسلا وتطوان وتادلة وسجلماسة وسوس وغيرها. إلا أن هؤلاء المحدثين لم تكن مشاركتهم مقتصرة على حضورهم في المجالس الحديثية، وإنما فرقهم السلطان على مساجد عاصمته لنشر الحديث وتدريس العلوم ثم يحضرون مجالسه بعد صلاة الجمعة. وليس هناك تاريخ موحدين جميع هذه الاستدعاءات التي كان يوجهها المولى محمد بن عبد الله إلى محدثي عهده، بل يختلف تاريخ بعضها عن بعض، غير أن المدد الزمنية الفاصلة بين تواريخها ليست طويلة، فقد كان السلطان يستدعي المحدثين إلى مراكش كلما تعرف على محدث يراه أهلا لحضور مجالسه الحديثية، ولذلك رأيناه في عدة مناسبات ــ منذ أن اعتلى عرش المغرب ــ يسأل عن العلماء والمحدثين.

فمن فاس عبد الله المنجرة ومحمد بن الشاهد[1] ومن مكناس أحمد ابن عثمان المكناسي، ومن سلا الطاهر بن عبد السلام وأبو الفضل الطاهر السلاوي،

(1) انظر عنه الاعلام 93/5

ومن تطوان محمد بن الحسن الجنوي، ومن تادلة محمد بن عبد الرحمان الشريف[2] ومحمد بن أبي القاسم السجلماسي وغيرهم.

وفي هذا المبحث سنتعرف على نماذج من هؤلاء المحدثين، مرتين بحسب تاريخ الوفاة وهم الطاهر بن عبد السلام ومحمد بن الحسن الجنوي ومحمد بن أبي القاسم السجلماسي وأحمد بن عثمان المكناسي.

محمد الطاهر ابن عبد السلام[3]

(كان حيا في 1182 هـ / كان حيا في 1768 م)

أبو عبد الله محمد الطاهر بن علي بن عبد السلام الأديب الكاتب المحدث السفير، من أعلام عصره، وأعيان علماء سلا، كان بارعا في الأدب والحديث وعلوم أخرى، وأحد رجال السياسة في حكومة المولى محمد بن عبد الله، كان له اتصال كبير بهذا السلطان، وهو من المحدثين الذين استدعاهم إلى حضرته بمراكش، ليحضروا مجالسه الحديثية وغيرها.

بعثه السلطان سفيرا إلى الدولة العثمانية في سفارتين، أولاهما كانت سنة 1175 هـ[4]، أرسله المولى محمد الثالث بهدية نفيسة، ومعه الطاهر بناني الرباطي[5] إلى السلطان مصطفى العثماني، كان الغرض منها الحصول على الأسلحة الحربية، وإزالة حلي عن مصاحف كانت وقفا على المسجد الحرام، بعد

(2) انظر عنه الإعلام 5/ 144

(3) انظر عنه :
الاتحاف الوجيز 121 - 123
اتحاف اشرف الملا 98
درة السلوك
الاتحاف 3/ 298 - 299, 184, 1/ 338
تحفة الزائر بمناقب الشيخ ابن عاشر أحمد ابن عاشر وذكر في :
الترجمانة الكبرى 63
الفتوحات الالهية مقدمة المدني بن الحسني
مدرسة الامام البخاري 1/ 383

(4) وهي التي أشار اليها محمد بن علي الدكالي في الاتحاف الوجيز 122 وفي اتحاف أشرف الملا 97، وابن زيدان في الاتحاف 3/ 298 وأرخ لها بسنة 1179 وخلافا لما قاله بوشعراء في تحقيقه للاتحاف الوجيز 122 هامش 136 من انه لم يؤرخ لها سوى محمد بن علي الدكالي.

(5) انظر عنه الإعلام 3/ 263

أن تعذر الانتفاع بها، ثم تفريق قيمة هذه الحلي على الأشراف.

وفي ثانيهما[6] بعث المولى محمد بن عبد الله المترجم إلى السلطان عبد الحميد العثماني أخ مصطفى، ووجه معه عشرين ألف وثلاثمائة ريال لأجل افتداء الأسرى الذين كانوا بيد النصارى، وعددهم ينيف على العشرين ألف حسب ما ذكره المؤرخ التركي جودت العثماني[7].

وقد حج ابن عبد السلام وسجل مارآه في رحلته، إلا أن تأليفه هذا مجهول المصير. ويبدو أن الأبيات التالية قالها المترجم قبل قصده بيت الله الحرام، ومطلعها :

دائمـــا عينـــي تراعـــي ... أن تـــرى خير البقـــاع
وفـــؤادي ذو اشتيـــاق ... وهيـــام وارتيـــاع

إلى أن قال :

مـــنشدا حين أرى مـــن ... طبعـــه خير الطبـــاع
طلـــع البـــدر علينـــا ... مـــن ثنيـــات الـــوداع
وجب الشكـــر علينـــا ... مادعـــا للـــه داع
أيها المبعـــوث فينـــا ... جـــئت بالأمـــر المطـــاع
ياشفيـــع الخلـــق كـــن لي ... في نزوحـــي ونـــزاع
وأرحنـــي مـــن خطـــوب ... ضيـــقت منـــي اتساعي[8]

وذكر له ابن عاشر الحافي في «تحفة الزائر» قصيدة في مدح الامام ابن عاشر[9]. قال في ابن عبد السلام محمد بن علي الدكالي في «اتحاف أشراف

---

(6) تاريخها غير معروف وقد أرخ لها مصطفى بوشعراء في تحقيقه لكتاب الاتحاف الوجيز ص 122 هامش 136 بسنة 1179 هـ اعتمادا على الاتحاف لابن زيدان 3/ 298، مع أن هذا الأخير أرخ بذلك لرحلة المترجم الأولى، بدليل أنه ذكر أنها كانت في عهد مصطفى الثالث، وأن ابن عبد السلام حمل اليه الهدية ورجع بالأسلحة، وهذا لم يحصل في الرحلة الثانية، بل في الأولى، وبما أن هذه الرحلة الثانية كانت في عهد عبد الحميدالعثماني الذي تولى سنة 1182 هـ فيكون تاريخها هذه السنة أو بعدها.

(7) انظر اتحاف أشرف الملا الآتي ذكره.

(8) الاتحاف الوجيز 121 - 122.

(9) المصدر السابق 122.

الملأ» لما ذكر طبقة أدباء سلا :

ومنهم المحاضر الأريب ... الكـــاتب المبرز الأديب
محمد الطاهر وهو ابن علي ... ثم ابن عبد السلام منـجلي
كان بـعصر الملك المعظـم ... منصور دولة العلاء الأفخم
غدا جليسا كاتبا موجهـا ... إلى ملـوك عصره منزهـا
برع في العلم وفي الآداب ... وفي الدهاء بادي الاعجاب
سافـر عنـه لبـلاد التـرك ... في عهد مصطفى الجميل النسك
وحمل الهديـــة العظيمـــة ... ولم تـزل معروفـة فخيمـة
مـابين أفـراس وحلى وتحف ... ونخب جلت وفاقت في الطرف
وكان من أهم مالـه قصد ... جلب المدافع وأحكام عـدد
مما بـه مصلحة الأسطـول ... والعـود بـالخير وبالمأمـول
وأن يزال الحلي عن مصاحفا ... كانت لدى الحرام وقفا شرفا
لما تعـذر انتفـاع الواقـف ... بها وخيف من مآل التلف
وأن يعاد جلدها جديـدا ... ويحصل النفـع ولا مزيـدا
وقيمـة الحلي على الاشراف ... تفرق مع محاوج الأطـراف
فأعمل النظر مصطفى وحل ... بتركها بحالها وقـف كمـل
ثم اشترى مصاحفا بعدهـا ... ووقـفت يـتلى بها لنفعهـا
وجعل الثواب للذي وقـف ... أولها فأمـنت مـن التلـف
وخاطب المولى بهذي المصلحة ... وأنها أعلى الآراء الناجحـة
تأدبا مع الرسول المصطفـى ... وحفظ آثار الجدود الشرفا

ثم قال :

ثمت عاد ثانيـــا سفيـــرا ... في عهد نجل مصطفى ظهيرا [10]
لأجـل أن يفتـــدوا الأسارى [11] ... من كل أقطار لدى الـنصارى [12]
بمائتـــي ألـف من الريـــال ... مع ثلاثمائـــــــــــة من مال

---

(10) الصواب أن عبد الحميد أخ لمصطفى انظر الاتحاف 299/3.

(11) في هذا الصدر كُسر في الوزن.

(12) المقصود بهم دولة روسيا.

وشاء عبـد الحميـد أن يرى برأيـه في فكهـا محـررا
فوجـه التركـي بسفـن أربـع لمالطـة لأجـل فصل المنـزع
فتـم الافتـدا بذاك المـال وعظـم الأجـر بكـل حال
أنـافت الأسرى على العشرينا من الأولـوف عددا مبينـا
ذكـره مؤرخ تركـي (جـودت) عثمانـي به حري
وخاطب الصدر السفير هل يرى أميـرك القـرض لنفـع غزرا ؟
فقـال ممكـن له ما ترتضي وليس يعتاص كهـذا الغـرض
وكـان من أمـر غزير السلف ماجـل ذكـره لعهـد الخلـف
وكم لهـذا الشيـخ من سفـارة عادت بربـح القطـر والعمـارة
حج وزار وبـأي المعالمـا وقيـد (الرحلة)فيمـا أبهمـا [13]

أوردت هذه الترجمة النظمية على طولها لتفيدنا بعض المعلومات عن المترجم، وإن كان بعضها قد سبق ذكره.

توفي ابن عبد السلام في 1182 هـ أو بعدها[14]، بمراكش وكانت معه خزانة علمية فبقيت هناك كتبه وكنانيشه وغالب أخباره وما يتعلق به[15].

---

(13) نقلا عن الاتحاف 3 / 298 - 299.

(14) وفي الاتحاف الوجيز 123 هامش 141 قال بوشعراء إن وفاته كانت في حدود الثمانين ومائة وألف نقلا عن اتحاف أشرف الملا ص 98، وإذا صح هذا النقل فيكون محمد بن علي الدكالي مؤلف اتحاف أشرف الملا قد وقع في تناقض، إذ كيف يكون المترجم مات في حدود 1180 هـ مع أنه ذكر أن ابن عبد السلام بعث سفيرا إلى السلطان عبد الحميد العثماني. وهذا لم يتول الحكم إلا في سنة 1182 هـ كما في الاتحاف 298/3.
وعليه فيكون المترجم قد توفي في هذه السنة أو بعدها.

(15) الاتحاف الوجيز 123 هامش 141 (المؤلف).

محمد بن الحسن الجنوي[16]

أبو عبد الله محمد بن الحسن الجنوي السماتي التطواني، كان محدثا فقيها مفتيا مشاركا في التفسير والأصول وعلم الكلام والنحو والبيان والمنطق وغيرها، ولم يكن يرضى بالتقليد في شيء من علومه، فهو ممن وصل مرتبة الاجتهاد.

ولد بمدشر ازجن من قبيلة سماته في شهر رجب سنة 1135 هـ / 1722 م، ونشأ هناك حتى حفظ القرآن، ثم رحل لطلب العلم، فقرأ بالقصر الكبير على التهامي أبي الخارق الحسني وغيره، وبتازروت على المجذوب ابن عبد الحميد الحسني، وبتطوان على أحمد الورزازي[17] وغيره، ومما قرأ عليه صحيح البخاري وصحيح مسلم وموطأ مالك وألفية العراقي في مصطلح الحديث والشمائل الترمذية والشفا، ثم رحل إلى فاس فدرس على محمد جسوس[18] وعمر الفاسي[19] والتاودي ابن سودة[20] وسواهم[21].

---

(16) انظر عنه:
أزهار البستان 205 أحمد ابن عجيبة
أوضح المسالك 1 / 16 - 24.
فهرسة محمد بن الصادق ابن ريسون.
اتحاف أهل الدراية والسداد محمد بصري المكناسي.
سلوة 1 / 161 - 165.
الإعلام 5 / 93 - 109.
الاتحاف 4 / 135 - 140.
تاريخ تطوان 3 / 99 - 174,166,165,101.
السعادة الأبدية 67 - 71.
اتحاف المطالع في رجال القرن الثالث عشر والرابع ابن سودة.
شجرة النور 375 رقم 1499.
مدرسة الامام البخاري 1 / 206.
جامع القرويين 3 / 805.
معجم المحدثين 31.
مجلة دعوة الحق ع 240 - 1304 هـ / 1984 ص 24.

(17) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث.

(18) ستأتي ترجمته فيالجزء الثالث من هذا البحث.

(19) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث.

(20) انظر ترجمته ص 300 ــ 309

(21) أوضح المسالك 1 / 16.

وأجازه شيخه جسوس ومحمد بن سالم الحفني الأزهري المصري[22] بخطيهما. وتتلمذ على المترجم جماعة من الطلبة صاروا فيما بعد من أعيان العلماء، منهم أحمد ابن عجيبة[23] ومحمد بن أحمد الرهوني[24] ومحمد بصري المكناسي ومحمد بن الصادق ابن ريسون[25] ومحمد بن أحمد الحضيكي[26]. وعبد السلام السكيرج.

وممن روى عن المترجم محمد بن عبد السلام الناصري[27] ومحمد الحضيكي ومحمد بن الصادق ابن ريسون.

ومن العلوم والكتب التي كان يدرسها التفسير وصحيحا البخاري ومسلم والأربعين النووية ومنظومة العربي الفاسي في اصطلاح الحديث والشفا ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والمرشد المعين والتحفة ووثائق ابن سلمون وتلخيص المفتاح وجمع الجوامع لابن السبكي والفية ابن مالك ومقدمة ابن أجروم والحكم لابن عطاء الله.

ويصف لنا تلميذه الرهوني طريقته في التدريس، مبينا مكانته العلمية، قائلا: «... وكان في تدريسه لايقتصر على شرح معين، بل يطالع ما أمكنه من الشروح والحواشي، ويراجع المسائل في أصولها ويعارض بين النقول، ويبين المردود منها والمقبول، وهكذا كان دأبه في التفسير والحديث والكلام والفقه والأصول، والنحو والبيان والمنطق والتصوف، موصوفا بالتحقيق والاتقان عند الخاص والعام، مرجوعا إليه في المعضلات العظام، مقدما في كل فن وخصوصا

(22) انظر عنه فهرس الفهارس 1 / 353 - 355 وقد أثبت الرهوني في أوضح المسالك 1 / 17 - 23 نصي استدعاء المترجم لهذين الشيخين ونصي إجازتهما له.

(23) انظر عنه تاريخ تطوان 6 / 213 - 258.

(24) صاحب أوضح المسالك. انظر عنه الفكر السامي 4 / 129 - 130 النبوغ 1 / 295 - 296 الحياة الأدبية 348 - 351.

(25) سبقت ترجمته في الجزء الأول من هذا البحث.

(26) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث.

(27) ستأتي ترجمته في جزء لاحق من هذا البحث.

في النوازل والأحكام، لايكاد يخالف فتواه أحد من القضاة والحكام، مع مروءة تامة ودين متين[28] ...».

وقد اشتغل بالامامة والخطبة والتدريس بكل من وزان[29] وجامع سيدي علي بن مسعود الجعيدي (جامع العيون) بتطوان[30].

وكان لايفتر عن طلب العلم، عظيم الاعتناء به فهما ومطالعة وتقييدا، حتى مهر فيه وصار إماما في كل فن، شهد له بذلك أشياخه وغيرهم[31]، يقول تلميذه الرهوني مستدلا على هذا :

«رأيت تو ـــ يعني التاودي ابن سودة ـــ يسأل عن المسائل بحضرته فيكل الجواب إليه، فيجيب على البديهة أحسن جواب، ولقد قدم تو مرة تطوان وأنابها، فحضرت معه ليلة في دار بعض شيوخنا ومعه شيخنا ج ـــ يعني الجنوي المترجم ـــ وجماعة من الفقهاء، فقال تو: سألني بعض الناس وأنا راجع من المشرق عن آية كذا، سماها إذ ذاك ونسيتها الآن، فلم أدر ما أقول له، فهل على بالكم فيها شيء؟ فأجابه شيخنا ج على البديهة بأن قال له: فيها ثلاثة أقوال للمفسرين المشهور منها كذا كما في ابن جزي، فطلب توا ابن جزي، فأحضر في الحين، فنظروه فوجدوا الأمر كما قال، وهكذا كان دأبه رضي الله عنه، علمه معه أينما كان[32].

وقد كان شيخه التاودي ابن سودة هو الذي عرف السلطان محمد بن عبد الله على المترجم، ذلك أن هذا الملك سأل ابن سودة عن علماء الوقت[33] فذكره له واثنى عليه بين يديه ثناء كبيرا، فأرسل السلطان وراءه وهو اذاك مقيم بوزان، فحضر الجنوي إلى مكناس ولقي السلطان، وأمره بسكنى هذه المدينة

(28) أوضح المسالك 1 / 16.

(29) أزهار البستان 205.

(30) تاريخ تطوان 3 / 101 نقلا عن عبد السلام السكيرج.

(31) أوضح المسالك 1 / 16.

(32) أوضح المسالك 1 / 16.

(33) وسيأتي في ترجمة عمر الفاسي في جزء لاحق من هذاالبحث أنه سأل كذلك هذاالعالم نفس السؤال، وهذا مما يدل على اهتمامه الكبير بالعلماء.

قصد التدريس بها، فامتثل أمره وسكنها مدة، ثم نقله إلى طنجة، فأقام بها مدة، ثم نقله إلى تطوان[34]، وبعد ذلك دعاه المولى محمد بن عبد الله إلى مراكش، بهدف التعليم في مساجدها وحضور المجالس الحديثية، فسافر إليها ممتثلا أمره[35].

وهذا الاستدعاء من السلطان العالم يدل على ما وصل إليه المترجم من مقام عال في العلوم، لذلك كان عبد القادر بوخريص[36] يمثل للمبرز في الصدر الأول بعمر بن عبد العزيز، وفيما بعد بأبي محمد صالح، وفي عصره بمحمد الجنوى[37].

وقال فيه شيخه جسوس في إجازته له :

«الامام العلامة الهمام، وحيد زمانه، وفريد عصره وأوانه، علما وعملا، الشريف المنيف ...»[38].

ووصفه تلميذه أحمد ابن عجيبة قائلا:

«شيخنا الامام، الحبر الهمام، مفتي الأنام، وأحد أيمة الاسلام خاتمة المحققين، وشمس المدققين ... لايرضى بالتقليد في شيء من علومه، وكان ملجأ للناس في حل المشكلات، تأتي الفتاوى إليه من أقطار أرض المغرب»[39].

ألف محمد بن الحسن الجنوي مؤلفات في علوم مختلفة، منها[40] :

1 ــ تعليق على ماكتبه المولى سليمان العلوي على بعض الأحاديث[41].

2 ــ حاشية على تفسير البيضاوي.

3 ــ حاشية على تفسير الجلالين.

(34) أوضح المسالك 1 / 17.

(35) المصدر السابق 1 / 24 تاريخ تطوان 3 / 100.

(36) انظر ترجمته ص 309 ــ 312.

(37) أوضح المسالك 1 / 17.

(38) المصدر السابق 1 / 18.

(39) أزهار البستان 205.

(40) الكتب الآتية ذكرت بتفاوت في أوضح المسالك 1 / 24 شجرة النور 375 معجم المحدثين 31.

(41) مخطوط عدد 1766 المكتبة الملكية.

4 ــ حاشية على وثائق ابن سلمون.
5 ــ تقاييد على الزرقاني على المختصر والحطاب والمواق ومصطفى الرماصي ومحمد بن الحسن البناني، ولو جمعت هذه التقاييد لكونت حاشية كبيرة الجرم[42].
6 ــ طرر على شرح ميارة للتحفة.
7 ــ طرر على المرادي.
8 ــ طرر على التصريح.
9 ــ طرر على حاشيتي الشيخ ياسين على التصريح.
10 ــ طرر على النظم.
11 ــ طرر بحواشي المحلي على جمع الجوامع لابن السبكي.
12 ــ طرر على شرح ابراهيم بن أبي شريف المقدسي لجمع الجوامع. توفي محمد بن الحسن الجنوي بمراكش في 13 رمضان 1200[43] هـ / 1785 م.

محمد بن أبي القاسم السجلماسي[44]
(ت 1214 هـ / 1799 م)

أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل السجلماسي الزيزي البوجعدي الرباطي، كان إماما حافظا وفقيها نوازليا مشاركا.

---

(42) أوضح المسالك 1 / 24.

(43) هكذا عند تلميذيه ابن عجيبة في أزهار البستان 205 ومحمد ابن الصادق ابن ريسون في فهرسته وعند الفقيه عبد الله شطير التطواني، نقلا عن الأخيرين في تاريخ تطوان 3 / 101، وكذلك أرخت لوفاته مصادر أخرى.
وعليه فما في شجرة النور ص 375 من أنه توفي سنة 1220 هـ ليس صحيحا.

(44) انظر عنه :
الإعلام 5 / 152 - 159
الفكر السامي 4 / 127 - 128.
وذكر في :
الروضة المقصودة سليمان الحوات
أوضح المسالك 1 / 13
إمداد ذوي الاستعداد عبد القادر الكوهن
الفتح الوهبي العربي بن بنداود بن العربي.

ولد بأبي الجعد بمدينة تادلة، وتلقى العلوم عن عدة شيوخ، منهم أبو علي الحسن بن رحال[45] وأحمد بن عبد العزيز الهلالي[46] وأحمد بن عبد اللـه الغربي[47] ومحمد بن قاسم جسوس[48] وغيرهم.

وممن أجاز للمترجم شيخه أحمد الغربي المذكور.

ودرس عليه جماعة من العلماء، من بينهم محمد العربي بن المعطي الشرقي، أسند له المسبعات ودلائل الخيرات، وجامع نوازله الفقهية[49] ومحمد بن عامر التادلي المعداني (ت 1234 / 1818) والعربي الشرقاوي[50].

وأجاز محمد السجلماسي لمحمد بن عبد السلام الناصري[51] ومحمد بن عبد الصادق ابن ريسون[52] ومحمد العربي بن المعطي الشرقي وسواهم.

نبغ المترجم في الحديث والفقه، وكان محررا نقادا، ولذلك استدعاه السلطان المولى محمد بن عبد الله إلى مراكش للتدريس بمساجدها وحضور مجالسه الحديثية، يقول تليمذ المترجم جامع نوازله الفقهية :

«فلم تزل فوائده تتوالى علي، ونوازله تساق إلي» ثم قال : «ولم يزل حاله معي على ماذكرت، وسيرته الحسنى كما وصفت، إلى أن مد الزمان إلينا يد النوى، وذبل بعد طول النضارة، بسبب جريه للحضرة المراكشية، وظننا له عدم الأوبة، بإشارة من أمرُ طاعتِه حتم أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله ...»[53].

وهكذا قضى المترجم مدة بمراكش عاكفا على تدريس العلم والمشاركة في مجالس السلطان العلمية، ثم أمره الملك بسكنى مدينة الرباط قصد تدريس

(45) انظر عنه شجرة النور 334 النبوغ 1 / 287 الاتحاف 3 / 7 - 9.
الفكر السامي 4 / 109 - 110 الأعلام للزركلي 2 / 190
التقاط الدرر 338 - 340.

(46) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث.

(47) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث.

(48) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث.

(49) هكذا وصفه مؤلف الإعلام، وبعد هذا بياض 5 / 152، ولم أطلع على اسمه.

(50) انظر عنه فهرس الفهارس 2 / 778 - 781.

(51) ستأتي ترجمته في جزء لاحق من هذا البحث.

(52) سبقت ترجمته في الجزء الأول من هذ البحث.

(53) الإعلام 5 / 153.

صحيح البخاري بها وعلوم أخرى، فامتثل أمر المولى محمد ابن عبد الله أيضا، وبقي هناك إلى أن أذن له في الرجوع إلى بلده أبي الجعد، فعاد وبقي مرافقا لتلميذه محمد العربي الشرقي[54].

وصفه تلميذه جامع نوازله الفقهية بقوله :

«من منن الله علي، وإحسانه المتوالي لدي، أن ألهمني إلى معرفة من لايشق له غبار، ولا يخفى ماله من السكينة والوقار والحياء، والصيانة والعفة، من على قطب رحاه مدار النوازل، وديدنه التطلع والكشف عمّا عمي عن غيره من نصوص الأواخر والأوائل، الشيخ الامام، قدوة الانام، وحجة على التمام، العارف بالفروع والأصول، والجامع للمعقول والمنقول، خاتمة العلماء، وواسطة الفضلاء ..»[55].

وقال فيه عباس المراكشي: «كان علامة متفننا متقنا مشاركا، نظارا في الفقه إماما حافظا كشافا للمعضلات، جماعة للدواوين متبحرا جامعا لأفراد المكارم»[56]. ووصفه محمد الحجوي بقوله: «.. كان فقيها محررًا نقادا، وكتبه تدل على باعه وواسع اطلاعه»[57].

وقد ألف محمد السجلماسي مؤلفات مفيدة حظيت بشهرة واسعة وإقبال عليها من طرف الطلبة والعلماء، منها :[58]

1 — شرح العمل الفاسي، وبه اشتهر المترجم، وأكب المفتون والقضاة عليه[59].

---

(54) الإعلام 5 / 158.

(55) المصدر السابق 5 / 153.

(56) نفس المصدر 5 / 152.

(57) الفكر السامي 4 / 127.

(58) المؤلفات الآتية وردت في الإعلام 5 / 159،158،153،152 وبعضها في الفكر السامي 4 / 127.

(59) لما كمل طبعه عام 1291 نظم مصححه، في مدحه ومدح مؤلفه قصيدة تصل إلى اثنين وتسعين بيتا، منها قوله :

فكأنـــه وهـــو المراد حديقـــة	بل شرح حبر من ذوي العرفـان
نـزه جفـونك في بديـع جمالـه	واملأ وطـابَك مـن جنـى أفنـان
هـذا مؤلـف عـالم علامـة	ينبـيك مـن تحقيقـه بـلسان
طـارت بـه الركبـان في آفاقهـا	قـد طـال حاملـه على خاقـان

انظرها في الاعلام 5 / 153 وما بعدها.

2 ـــ نوازل فقهية. جمعها أحد تلاميذه.
3 ـــ شرحه لنظمه المشتهر بالعمل المطلق المسمى بفتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد[60].
4 ـــ شرحه للمنظومة المسماة اليواقيت الثمينة لعلي بن عبد الواحد الأنصاري[61].
5 ـــ جوابه في مغيب الشفق المنقول في المعيار الجديد في الأذان، قرظ عليه أحمد بن عبد الله الغربي وأبو القاسم العميري وعلي بن عبود وأحمد البوكيلي.

توفي محمد بن أبي القاسم السجلماسي بأبي الجعد سنة 1214 هـ / 1799 م.

أحمد ابن عثمان المكناسي[62]

أبو العباس أحمد بن الرضي بن عثمان المكناسي، محدث فقيه أديب مشارك. ولد بمكناس ودرس بها، ثم انتقل إلى فاس فتتلمذ على علمائها، كعمر الفاسي[63]. قرأ عليه علم الحديث والفقه وغيرهما، ومحمد التاودي ابن سودة[64] قرأ عليه علوما مختلفة، ومحمد بن الحسن البناني[65] الذي قرأ عليه موطأ الامام

---

(60) انتهى من تأليفه سنة 1196.
(61) يقع في مجلد.
(62) انظر عنه :
الاتحاف 1 / 353 - 360, 338 .3 / 134.
الإعلام 2 / 198 .5 / 117.
وذكر في :
الترجمانة الكبرى 61 ,63.
الفتوحات الالهية مقدمة المدني بن الحسني
مدرسة الامام البخاري 383/1.
(63) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث.
(64) انظر ترجمته ص 300 ـــ 309
(65) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث.

مالك ومختصر السنوسي في المنطق وحاشية البناني المذكور على هذا المختصر[66]، وغيرهم ممن هم في طبقتهم من أعلام عصره[67].

نبغ أحمد ابن عثمان في علم الحديث وغيره، وفي الأدب والشعر فاستكتبته زوج المولى إسماعيل وجدة المولى محمد بن عبد الله السيدة العالمة خناثة بنت بكار المغافرية[68]. ولما بويع السلطان محمد الثالث تعلق بخدمته، حيث استدعاه السلطان ليكون كاتبا في بساط ملكه[69]، لما عرف فيه من المهارة في الانشاء والترسيل، بجانب كاتبه الآخر وهو الطاهر ابن عبد السلام السلاوي[70]، وكذلك ليكون من جملة العلماء والمحدثين الذين نقلهم من عدة مدن مغربية، وفرقهم على مساجد مراكش، ليدرسنوا علم الحديث بها، ويحضروا مجالس دروسه الحديثية[71].

وقدره السلطان حق قدره وأسبل عليه أردية الاجلال والاكبار[72]، وهذا يدل على المكانة السامية التي بلغها أحمد بن عثمان في العلم والأدب، وناهيك بمن رشحه ذلك السلطان الطائر الصيت في المشارق والمغارب المتضلع في سائر الفنون.

للمترجم أشعار رائقة فائقة تدل على مهارته ومكانته العلمية والأدبية، أذكر منها بعض ماقاله في بعض شيوخه، وبعض ما مدح به السلطان المولى محمد بن عبد الله[73] :

قال مخاطبا شيخه التاودي ابن سودة :

إن أكن في العلوم روضا نضيرا فلقد كنت ثم لازلت مائي

(66) جاء ذلك في أبياته الشعرية التي خاطب بها وسيأتي ذكرها.

(67) الاتحاف 1 / 354 الإعلام 2 / 198.

(68) انظر عنها الاتحاف 3 / 16 - 23.

(69) الترجمانة الكبرى 60 - 61.

(70) سبقت ترجمته ص 280—283.

(71) الترجمانة الكبرى 63.

(72) الاتحاف 1 / 354.

(73) الأبيات التالية وردت في الاتحاف 1 / 354 - 356.

أوأكن هاديا فعلمك نور ... أو أكن قمرا فأنت سمائي[74]

نلاحظ من هذين البيتين أن ابن عثمان قرأ على شيخه هذا علوما مختلفة.

وخاطب شيخه محمد بن الحسن البناني قائلا :

أبدرا لاح بين الشهب بدرا ... فنارت منه نيرة الشموس
وروضا فاح مند له سحيرا ... فأحيا نشره ميت النفوس
وبحرا خاض بحر العلم حتى ... انثنى بالجوهر الصدفي النفيس
بمالك من طريق الفخر شنف[75] ... مسامعَنا بمختصر السنوسي
وألبس عاريَ الطلاب مما ... به حشيَّتَه أسنى لبوس
وبَرِدْغلةَ الصادي بأحلى ... مذاقا من معتقة الكؤوس
ولاترددْ يدَ الابياتِ صفرا ... وجد بمنى ولو يوم الخميس
بقيت لفك مشكل كل فن ... ففتحك في المجالس والطروس
ولاتنفك بين الناس تاجا ... أبا عبد الاله على الرؤوس[76]

ومن هذه الأبيات نستنتج أنه قرأ على البناني موطأ مالك ومختصر السنوسي في المنطق وحاشية البناني على هذا المختصر.

ورثى شيخه عمر الفاسي بقوله :

الدمع يروي عن فؤاد الأكمد ... بمسلسل وبمرسل وبمسند
فاجعل حديث الدمع عندك حجة ... واطرح مقالة جاهل لم يشهد
وابك العلوم أصولها وفروعها وابـ ... ـك الدروس ولا تكن كالجلمد[77]
وابك السماحة والصباحة والفصا ... حة والبراعة واليراعة تهتد

هذه القصيدة تضم ثلاثين بيتا[78]، ونلاحظ من هذه الأبيات استعمال ابن عثمان لثقافته الحديثية، وأنه درس علم الحديث على أبي حفص الفاسي، الذي

---

(74) كتب ابن زيدان على هامش هذاالعجز لفظ «كذا» بعد كلمة «قمرا» مع أنه مكتمل من حيث الوزن، الذي هو من بحر الخفيف.

(75) في هذا المصدر كسر في الوزن.

(76) كنية محمد بن الحسن البناني هي أبو عبد الله، ولكن ابن عثمان استبدلها بأبي عبد الاله لضرورة الوزن.

(77) الجلمد معناه الصخر، رجل جلمد: شديد صلب.

(78) تتمتها في الاتحاف 1 / 355.

يبدو أن المترجم كانت له نحوه عاطفة قوية وجياشة، حسب الأبيات المذكورة وما بعدها.

ونلاحظ أيضا براعة ابن عثمان الشعرية من حيث الصدق في التعبير واستعمال الجناس (مسلسل ــ مرسل، والسماحة ــ الصباحة ــ الفصاحة، والبراعة ــ اليراعة) والتشابه الايقاعي بين المقاطع ..

وقال في مدح مخدومه السلطان المولى محمد بن عبد الله :

غرام لايحيط به بيان ... وشوق ليس يشرحه لسان
وقلب لايزايله اضطراب ... عظيم كيف يمسكه العنان

إلى أن قال :

مليك في بساط الحسن شدت ... مناطقها لخدمته الحسان
بطاعته قضوا لما رأوها ... سبيلا فيه رشدهمُ استبانوا

تحتوي على اثنين وثلاثين بيتا[79].

لم أطلع على تاريخ وفاته، إذ لم يذكرها أحد ممن اعتمدت عليهم في ترجمته.

(79) انظرها في الاتحاف 1 / 355.

المحدثون المكلفون بشرح «مشارق الأنوار» للصغاني

تمهيـد :

كان من مظاهر الازدهار الحديثي في هذا العهد نشاط حركة التأليف، فقد كان السلطان يشجع العلماء على تأليف الكتب الحديثية، سواء كانت شروحا أو حواش، أو تصانيف مستقلة، ولم يقتصر على التشجيع فقط، بل كان أحيانا يأمر علماء خاصين بشرح كتب حديثية معينة، ويملي عليهم التعليمات التي يراها مناسبة لهذا الشرح.

وإيمانا منه بأن العمل الجماعي يكون دائما أنفع وأفيد من العمل الفردي، وخاصة إذا تعلق الأمر بإنجاز عمل ضخم ومهم، كان يكلفه مجموعة من العلماء بإعداد أعمال حديثية عن طريق التعاون العلمي، وكان هو نفسه يعطي القدوة في ذلك، حيث كان يؤلف الكتب بمساعدة بعض أعضاء مجالس، فيستشيرهم ويستظهر رأيهم فيما يكون بصدد تأليفه.

وقد تأثر المولى سليمان بهذا الأسلوب الحكيم، فرأيناه ينهج نهج أبيه، إذ كلف أربعة من العلماء بشرح الأربعين النووية، وعين عشرة أحاديث لكل عالم[80].

وهكذا أمر السلطان المولى محمد بن عبد الله ثلاثة من أكابر محدثي عهده بشرح «مشارق الأنوار» للامام أبي الفضل الحسن الصغاني (ت 650 / 1252)[81] وحدد ثلثا لكل واحد منهم، فشرح التاودي ابن سودة ثلثه الأول، وعبد القادر بوخريص ثلثه الثاني، وإدريس العراقي الثلث الأخيرة، غير أن هذا الأخير توفي قبل اتمام شرحه، فأمر السلطان ولده عبد الله بإتمام شرح أبيه، فجاء الشرح في عدة أجزاء، على حسب التعليمات التي أشار عليه بها فيه. وهؤلاء المحدثون الأربعة هم الذين سنتعرف عليهم في هذا المبحث، مرتبين حسب ترتيب أثلاث الكتاب الذي شرحوه.

(80) انظر ذلك في ترجمتي عبد القادر ابن شقرون والطيب ابن كيران في جزء لاحق من هذا البحث.

(81) ترجمته في أزهار البستان ابن عجيبة ص 253 وقد ولد سنة 577 / 1181.

التاودي ابن سودة[82]
(حوالي 1117 - 1209 هـ حوالي 1705 - 1795 م)

أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن قاسم بن محمد ابن علي بن قاسم بن أبي محمد القاسم بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة المرّي[83] القرشي الأندلسي الفاسي، والمري نسبة إلى مرّة بن كعب بن لؤي القرشي[84]، وينتمي إلى أسرة أندلسية عريقة، مشهورة في العلوم، هاجرت منذ عصور إلى المغرب وسكنت مدة بمدشر بني تاودة المسمى اليوم «فاس البالي» في شرقي شمال فاس[85] في عهد السلطان أبي عنان المريني.

التاودي ابن سودة علامة محدث إمام فقهاء المغرب، كان مقدما في العلوم، ولاسيما الحديث والتفسير والفقه وعلم الكلام والأصول والمنطق والتصوف، حتى لقب بشيخ الجماعة، كما لقب ملحق الاحفاد بالأجداد لكثرة ماالحتوت عليه فهرسته من الأعلام[86].

---

(82) انظر عنه :
الروضة المقصودة الحوات / ثمرة أنسي الحوات / أوضح المسالك 1 / 12 - 15 / تأليف في ترجمته الطالب ابن الحاج / فهرسة الشيخ الأمير المصري، ألفية السنة مرتضى الزبيدي الحسام المشرفي 324 - 327 / سلوك الطريق الوارية الزبادي ورقة 126.
تاج العروس مرتضى الزبيدي (مادة: سود) أزهار البستان ابن عجيبة 205 - 206.
الدرر البهية الفضيلي 294/2 سلوة الأنفاس 112/1 دليل مؤرخ المغرب 321 رقم 1361/1360 فهرس الفهارس 256/1-263.
مؤرخو الشرفاء 230-239 ط. الرباط. ملحق بروكلمان 98/2, 689, 961 (29). وتاريخه 159/1.
شجرة النور 372-373 رقم 1486 الفكر السامي 127/4 رقم 801 الإعلام للمراكشي 134/5-140
الاستقصا 134/4 ط. مصر صفوة ماانتشر 159 النبوغ 293/1-294, 300
الأعلام للزركلي 138/6,40/7 معجم المحدثين 31-32
تاريخ الشعر التميشي 84 الكتاب الذهبي 172
تاريخ الأزهر (الفصل الثالث، العصر التركي) جامع القرويين 805/3
الحياة الأدبية 322-328
مدرسة الامام البخاري 256/1-258,151,172,176,177,413,2/465,600,601.

(83) فهرس الفهارس 256/1 - 257.

(84) أوضح المسالك 13/1.

(85) مؤرخو الشرفاء 238 ط. الرباط. ومقال بروفنسال: Ruines almoravides. Bul. arch. 1918. p.134-200.

(86) الفكر السامي 127/4.

ولد المترجم بفاس حوالي سنة 1705/1117، ذلك أنه ليس هناك تاريخ محدد لولادته، وهذا التقريب في التأريخ لها إنما معتمده مارواه تلميذ المترجم سليمان الحوات (ت 1231) في كتابه «ثمرة أنسي» إذ قال: «هو شيخ ظاهر النفع كثير التلميذ طال عمره إلى ماجاوز التسعين»[87]. إلا أن محمد مخلوف[88] والدكتور يوسف الكتاني[89] قد أرخا لولادة التاودي ابن سودة ـــ بصيغة التقرير ـــ بسنة 1111 هـ.

ولعل الكتاني تبع مخلوفا في هذا، و لم يذكر أحد منهما ما اعتمده في ذلك، والواقع أنه يصعب تحديد تاريخ ولادة المترجم بكيفية دقيقة مالم يوجد مصدر وثائقي يؤكده.

درس ابن سودة بفاس على جلة علماء عصره، وهم كثيرون جمعهم في فهرسته، منهم أحمد بن مبارك السجلماسي[90] الذي كان عمدته في رواية الحديث، ومحمد بن أحمد بن جلون[91] وأحمد بن علي الوجاري[92] وعلي بن أحمد الشدادي، ومحمد بن الحسن الكندوز المصمودي الفاسي[93] ومحمد يعيش الرغاي الشاوي الفاسي[94] ومحمد بن أحمد التماق[95] ومحمد بن قاسم جسوس[96] وأحمد بن علي الوصاوي. ومحمد بن عبد السلام بناني[97] وأحمد بن عبد الله

(87) فهرس الفهارس 259/2 الإعلام 189/5 نقلا عن ثمرة أنسي.

(88) شجرة النور 373.

(89) مدرس الامام البخاري 251/1.

(90) انظر عنه: النشر الكبير ورقة 108. سلوك الطريق الوارية ورقة 124 الحياة الأدبية 237 - 238.

(91) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 332 وهامش 5 ط. باريس.

(92) عالم توفي سنة 1141 هـ / 1728 م.

(93) عالم توفي سنة 1148 هـ / 1735 انظر عنه مؤرخو الشرفاء 225 - 227 ط. الرباط.

(94) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 333 هامش 3 ط. باريس.

(95) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 318 هامش 7 ط. باريس.

(96) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذاا لبحث.

(97) انظر عنه فهرس الفهارس 1 / 224 - 227 والحياة الأدبية 253 ,256 وهناك مراجع عنه.

الغربي[98] والمعطي بن الصالح الشرقي[99] وغيرهم.

وقد أجازه شيوخه، وذكر إجازاتهم له في فهرسته.

قرأ على التاودي ابن سودة عدد كبير من الطلبة حتى قال تلميذه محمد الرهوني: «فلا أعلم الآن أحد ممن ينتمي إلى العلم بالمغرب إلا وله عليه منة التعليم[100]»، من بينهم ولده أحمد[101] ومحمد بن الحسن الجنوي[102] ومحمد بن علي الورزازي[103] وأحمد الملوي ومحمد بن أحمد الرهوني المذكور[104] وحمدون ابن الحاج[105] وسليمان الحوات[106] والطيب ابن كيران[107] ويحيى الشفشاوني[108] ومحمد بن عمر الزروالي[109] ومحمد الرحموني، وادريس العراقي[110] وغيرهم كثير.

وممن أجازهم المترجم محمد بن عبد السلام الناصري[111] ومحمد ابن الصادق ابن ريسون[112] وعبد الله بن ابراهيم العلوي الشنكيطي[113] وصالح الفلاني[114].

---

(98) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث

(99) انظر عنه النشر 277/2 سلوة 193/1 الإعلام 328/4 - 331 الحياة الأدبية 288-290.

(100) أوضح المسالك 13/1.

(101) انظر عنه سلوة 115/1 الفكر السامي 130/4 شجرة النور 380 رقم 1521.

(102) سبقت ترجمته ص 288 ـ 292.

(103) انظر عنه فهرس الفهارس 1112/2 تاريخ تطوان 6 / 191 - 194 مختصر تاريخ تطوان 297.

(104) انظر عنه البستان 206 - 207 تاريخ تطوان 3 / 171,100,99,86,85 الحياة الأدبية 348 - 351.

(105) سبقت ترجمته في الجزء الأول من هذا البحث.

(106) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 336 - 340 ط. باريس.

(107) ستأتي ترجمته في جزء لاحق من هذا البحث.

(108) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 147 هامش 4 ط. باريس.

(109) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 202 هامش 1 ط، باريس.

(110) ستأتي ترجمته ص 312 ـ 320.

(111) ستأتي ترجمته في جزء لاحق من هذا البحث.

(112) سبقت ترجمته في الجزء الأول من هذا البحث.

(113) انظر عنه معجم المحدثين 24.

(114) انظر عنه فهرس الفهارس 2 / 901 - 906.

وقد حج التاودي عام 1191[115] / 1777 ــ 78 م واجتمع بأعلام العلماء والمحدثين بالمشرق، فسمع وأسمع وروى وأخذ، وأجاز واستجاز وتدبّج[116]، ومكث هنالك مدة ألقى خلالها دروسا بالحرمين الشريفين والقاهرة، وأقرأ الموطأ بالأزهر، فحضر درسه أعيان المذاهب الأربعة وكبار شيوخ مصر[117]، كما أقرأ أوائل الكتب الستة والشمائل الترمذية وحكم ابن عطاء الله وغيرها[118]. وممن اجتمع بهم هنالك وأجازهم واستجازهم، الشيخ السمان والشيخ أحمد الملوي والشيخ الأمير[119] والشيخ مرتضى الزبيدي الحسني وغيرهم[120].

وتعتبر إجازة الشيخ التاودي للحافظ الزبيدي من أوائل الاجازات[121]، قال عنها هذا الأخير في منظومته «ألفية السند» :

ومنهم محمد بن الطالب — التاودي العدل ذو المواهب
رئيس فاس كاشف الغيوم — وعالم المنطوق والمفهوم
وإليه في بلاده يشار — عليه في المعارف المدار
صحبته في مصر في وفادته — فجاء بالكثير من إفادته
أجازني بكل ما يرويه — من كل ما يفيد أو يمليه[122]

وتديج المترجم بمصر مع أحمد الدمنهوري المذاهبي وعلي الصعيدي[123]. على أن ما يلفت النظر في رحلته هذه إلى الحجاز فيما يتعلق بالدراسات الحديثية هو ما ذكره في فهرسته الصغرى، حيث قال :

«لما من الله على العبد بالرحلة لأرض الحجاز، وظفر بزيارة الحرمين، ونزل

(115) مؤرخو الشرفاء 238 ط. الرباط مدرسة الامام البخاري 256/1 وليس سنة 1181 كما في شجرة النور 372.

(116) التدبيج في اصطلاح علم الحديث معناه أن يروي الراويان كل منهما عن الآخر. انظر التقييد والايضاح على مقدمة ابن الصلاح 333.

(117) فهرس الفهارس 1 / 258, 260 نقلا عن الفهرسة الصغرى للتاودي ابن سودة.

(118) مدرسة الامام البخاري 256/1 الحياة الأدبية 323 شجرة النور 372.

(119) شجرة النور 373.

(120) مدرسة الامام البخاري 256/1.

(121) المصدر السابق 151/1.

(122) فهرس الفهارس 257/1.

(123) المصدر السابق 259/1.

أرض مصر، لقي من علمائها وفقهائها من يشار إليه بالنبل في العصر، فطمحت نفوس طائفة لها بالعلم اعتناء، وفي الأخذ عن مشايخ الغرب رغباء، أن أقرأ لهم من كتب الحديث ما تيسر، وإن كنت في الحقيقة على جناح سفر فأجمع الأمر على قراءة الموطأ بالجامع الأزهر، ولما افتتحناه، وجرى في الدرس ذكر من أخذناه عنه أورويناه، وقع ذلك من السامعين موقعا، وكأنهم يقولون لانجد له مسمعا ولا مرجعا، فطلبوا مني أن أقيد لهم سندي في ذلك، وأن أصل حبلهم ورابطتهم من جهتي بالإمام مالك، مع سند الصحيحين، وذكر نبذة من مشايخي ممن شهد لي أو اشتهر وعلم ... »[124].

فلهذه الشهادة أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ العلوم الشرعية عامة. وعلم الحديث خاصة، في نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي (وهو تاريخ كتابة هذه الفهرسة) إذ تبين مدى الاتقان الذي وصلت إليه دراسة الحديث بالمغرب بصفة خاصة، وبشمال افريقيا بصفة عامة، بالنسبة للأقطار الاسلامية الأخرى بالمشرق[125]. كما تبين من جهة أخرى التفوق والمقام العلمي الذي بلغه التاودي ابن سودة في علم الحديث.

لقد كان المترجم من المحدثين النابغين «وانفرد بعلو الاسناد حتى صار شيخ الشيوخ، والمحرز على قصب السبق في ميدان الرسوخ»[126]، وأصبح سنده صدار أسانيد أهل المغرب.

وقد عكف على إقراء أمهات الكتب الحديثية، وخاصة صحيح البخاري الذي ثابر على تدريسه وإسماعه حتى جاوزت ختماته الأربعين، ولم يكن يدعه خاصة في شهر رمضان، يفتتحه أول يوم منه ويختتمه آخره، وعلى الرغم من ضيق الوقت ــ وهو شهر واحد ــ بالنسبة لقراءة الصحيح كله، كان التاودي يأتي في تدريسه له بتحقيقات عليه، كما أقرأ صحيح مسلم كثيرا، وسنن أبي داود

---

(124) فهرس الفهارس 260/1 وفي الحياة الأدبية 326 أن التاودي أورد هذا النص في فهرسته الكبرى. وهو ليس صحيحا.

(125) انظر الفقه بين المغرب وتونس محمد الفاضل ابن عاشور مجلة المغرب ع 6 - 7 ص 11 - 15. الحياة الأدبية 326 - 327.

(126) الفكر السامي 127/4.

السجستاني، وبقية الكتب الستة، وأقرأ مسند الدارمي بأمر سلطاني، والجامع الصغير، ومشارق الأنوار للصغاني، وأملى عليه شرحا نفسيا، والأربعين النووية، والفتوحات الإلهية للمولى محمد بن عبد الله، والالفيتين للعراقي في اصطلاح الحديث، وأقرأ الموطأ بالجامع الأزهر، كما سبق ذكره[127].

وفي السيرة أقرأ الشفا بمراكش وفاس، والشمائل الترمذية، والكعبية لابن زهير، وشرحها، والبردة، والهمزية، كما أقرأ كتبا أخرى في التفسير والأصول والنحو واللغة والعقائد والعبادات[128].

والتاودي ابن سودة على شدة اهتمامه بالحديث وعلو كعبه في علمه، لم يكن ليدع كتب الفروع الفقهية وخاصة مختصر خليل، ولكنه انقطع عنه امتثالا لأمر السلطان سنة 1203 / 1788 مدة، ثم عاد إليه بعد موت هذا الملك المصلح، يقول تلميذه سليمان الحوات :

«لم ينقطع شيخنا عن قراءة مختصر خليل، إلا ما كان آخر أيام أمير المؤمنين، السلطان أبي عبد الله سيدي محمد بن أمير المؤمنين الحسني، فإنه صدر عنه الأمر إذاك بتأكيد قراءة التهذيب للبراذعي والرسالة لابن أبي زيد القيرواني والاقتصار عليهما، دون مختصر خليل، فامتثل أمر السلطان، ثم عاد إليه بعد ذلك»[129].

لقد نال المترجم بفضل كفاءته العلمية تقديرا بالغا من علماء عصره، المغاربة منهم والمشارقة، وحظي برعاية فائقة من السلطان المولى محمد بن عبد الله، الذي كان يعتبره محدثا مقتدرا، ولذلك اختاره لتدريس كتب حديثيه معينة كمسند الدارمي، أو شرحها كمشارق الأنوار للصغاني، أو تأليفها مثل كتابه «جامع الأمهات من أحاديث العبادات والصلوات» الذي ألفه بإشارة من السلطان.

---

(127) فهرس الفهارس 1 / 257-258 نقلا عن الروضة المقصودة للحوات.

(128) انظرها في فهرس الفهارس 258/1.

(129) مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي 149/2 نقلا عن الروضة المقصودة ص 307 مخطوط خ.ع.ر 2211.

وقد بوأه السلطان المناصب السامية في الدولة التي لم يبلغها غيره، تقديرا منه لدرجة التاودي العلمية، يقول الحوات كذلك :

«... وبلغ من الرياسة مع السلطان سيدي محمد ما لم يبلغه غيره، حتى اكتسب بذلك هو وأولاده أموالا كثيرة، وأكسبوا غيرهم ممن تعلق بهم مافيه الغنى، واجتمع له ولأولاده من المناصب والولايات والأخذ من وفر الأوقاف ما لم يتفق لغيره قط»[130].

ولكن ذلك لم يكن ليشغله عن دينه وعبادته، فقد كان مجتهدا في العبادة، بسيطا في مظهره، شديد الاعتناء بأمور الناس، عطوفا حليما، كما يشهد بذلك تلميذه الرهوني[131]. ومما يدل على حلمه وسعة خاطره ماروي من أنه في أخريات أيامه، وقد اشتدت نحافة جسمه، وظهرت عليه مخائل الموت، أنشد تلميذه الحوات في حقه :

قولوا لشيخكم ابن سودة إنه ... قرب الرحيل فهل له من زاد ؟
عاش القرون وفاز من أيامه ... بالمال والأولاد والأحفاد
حتى إذا وفى الرياسة حقها ... أمسى الحمام لديه بالمرصاد

فلما بلغ التاودي ذلك أتى إليه ومسح بيده على ظهره وهو يقول : «جزاك الله عنا خيرا إذ ذكرتنا ياابن الرسول»[132].

للشيخ التاودي ابن سودة مؤلفات كثيرة، منها :

أ. في الحديث :

1 ــ زاد المجد الساري، لمطالع البخاري[133]. وهي حاشية على صحيح البخاري، أطال فيها النفس، خاصة في تفاريع المذهب المالكي[134].

---

(130) فهرس الفهارس 259/1 نقلا عن الروضة المقصودة.

(131) أوضح المسالك 13/1 الإعلام 135/5.

(132) فهرس الفهارس I / 258-259 نقلا عن ثمرة أنسي للحوات.

(133) مخطوطات الخزانة العامة أعداد 817,816,561 د و 1949,1881 ك وتوجد 24 نسخة أخرى بالمكتبة الملكية من 1024 إلى 9577 وبخزانة القرويين عدد 848. ويوجد الأصل بالمكتبة السودية في فاس بخط المؤلف (معجم المحدثين 31). طبعت في أربعة أجزاء بفاس 1910/1328 بالمطبعة الحفيظية، وكانت من أوائل منشورات هذه المطبعة.

(134) مدرسة الامام البخاري 600/2.

2 ــ جامع الأمهات، من أحاديث العبادات والصلوات[135]، دون فيه الأحاديث الخاصة بشعائر العبادات: من الصلاة إلى الحج ... واختارها من كتاب «المجتبى في أحاديث المصطفى» لابن البارزي، فيذكر الحديث وراويه الأخير ومن أخرجه: على نسق، مؤلف الأصل[136].

3 ــ تعليق على صحيح مسلم[137].

4 ــ حاشية على مسند أبي داود[138].

5 ــ شرح «مشارق الأنوار» للصغاني[139]: شرح الثلث الأول منه بأمر من المولى محمد بن عبد الله.

6 ــ شرح الفتوحات الالهية الصغرى للمولى محمد بن عبد الله[140].

7 ــ شرح الأربعين النووية[141].

ب. في السيــرة :

1 ــ تعليق على شمائل الترمذي[142].

2 ــ شرح على قصيدة كعب ابن زهير[143].

ج. في الفقــه :

1 ــ طالع الأماني، على شرح الزرقاني[144]: وهي حاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل.

---

(135) مخطوط الخزانة العامة عدد 28 ك : تاسعة محفظة مؤلفات. وبالمكتبة الملكية عدد 12567.

(136) معجم المحدثين 31 مجلة دار الحديث الحسنية ع 3 - 1402 / 1982 ص 111.

(137) فهرس الفهارس 257/1.

(138) المصدر السابق 258/1.

(139) مخطوط خ.ع.ر عدد 415 ك في مجلد.

(140) الفتوحات الالهية مقدمة المدني بن الحسني ص: ي.

(141) مخطوطات الخزانة الملكية أعداد 6721,6026,2989,725. طبع بفاس.

(142) فهرس الفهارس 258/1.

(143) المصدر السابق.

(144) مؤرخو الشرفاء 239 هامش 3 ط. الرباط الإعلام 135/5.

2 ــ اتحاف الناظر والسامع، بشرح مسائل الجامع[145]: وهو شرح على الجامع لخليل.

3 ــ حلي المعاصم، لبنت فكر ابن عاصم[146]: وهو شرح لتحفة الحكام لابن عاصم.

4 ــ شرح لامية الزقاق[147].

5 ــ نوازل[148] وهي فتاوي جمعها ولده أحمد.

6 ــ رسالة كشف الحال عن الوجوه التي ينتظم منها بيت المال[149].

د. في التراجم والانساب والمناقب :

1 ــ الفهرسة[150]: وهي صغرى وكبرى، ذكر في الأولى شيوخه من أهل العلم المغاربة والمشارقة ونصوص إجازاتهم، وفي الثانية ذكر من لقيه من الصالحين. ألفها في آخر عمره، آخر المائة الثانية عشرة[151].

2 ــ نسب العراقيين الحسينيين القاطنين بفاس[152].

3 ــ ترجمة الشيخ أحمد بن محمد الصقلي الحسيني[153].

4 ــ مناقب الصالحين[154].

---

(145) مخطوطا خ.ع.ر. 1643 د، 1170 ك طبع بفاس سنة 1328.

(146) مخطوطا خ.ع.ر 881,872,576 دو 849 ك. طبع مرارا، وأول طبعاته كانت سنة 1284. بعد أن أنشأ السلطان محمد الرابع العلوي المطبعة المحمدية بمكناس سنة 1282، فكان هذا الكتاب ثالث كتاب طبع بها على الحجر. انظر مجلة دعوة الحق ع. 246-1985/1405 ص 49.

(147) مخطوط خ.ع.ر. عدد 836 د. وقد وضع علي بن عبد السلام التسولي (ت 1852/1258) حاشية على هذا الشرح.

(148) مخطوط عدد 2259 ك.

(149) توجد ثلاث نسخ من هذا المخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، انظر المجلد الرابع من فهارس الخزانة ص 91-92 وهناك دراسة عن هذا المخطوط بمجلة دعوة الحق ع 265 - 1987/1407 ص 24-27. وانظر كتبا فقهية أخرى للمترجم في شجرة النور 373. مؤرخو الشرفاء 238 هامش 3 ط. الرباط. الحياة الأدبية 324 - 325.

(150) مخطوطات عدد 952,725 د و 3251 ك.

(151) فهرس الفهارس 260/1.

(152) دليل مؤرخ المغرب 89/1.

(153) المصدر السابق 202/1.

(154) مؤرخو الشرفاء 334 هامش 1 ط. باريس الاعلام 13/5، 136.

هـ. متنوعـات :

من بينها كناشات علمية مختلفة[155].

توفي التاودي ابن سودة في 29 ذي الحجة 1209[156]، 17 يوليـوز 1795 م، وقد نيف على التسعين، ودفن بزاوية واقعة في زقاق البغل أمام منزله.

عبد القادر بوخريص[157]

(1118 — 1118 هـ / 1706 — 1774 م)

أبو محمد عبد القادر بن العربي بن قاسم بن عبد العزيز بن عبد الخالق بوخريص الكاملي الجعفري الفلالي ثم الفاسي وكان محدثا فقيها مشاركا في عدة علوم كالتفسير والنحو.

ولد سنة 1118 هـ[158] وتلقى العلوم عن جماعة من الشيوخ، من بينهم محمد العراقي [159]، ومحمد بن عبد السلام بناني [160]، ومحمد المسناوي، وأحمد الوجاري، وأحمد بن مبارك [161]، وهو معتمده الذي لازمه أكثر أيام حياته وغيرهم.

---

(155) دليل مؤرخ المغرب 465/2 الحياة الأدبية 325 هامش 35.

(156) وليس سنة 1076 كما في معجم المحدثين 31. انظر فهرس الفهارس 257/1 والنبوغ 294/1. مؤرخو الشرفاء 233 ط. الرباط الفكر السامي 127/4. شجرة النور 373.

(157) انظر عنـه :
سلوة 12/2-14. 161/1 (وهناك مصادر لترجمته)
الدرر الفاخرة 59
مجلة المغرب نوفمبر 1936.
شجرة النور 356 رقم 1423 وص 373.
مؤرخو الشرفاء 146 وهامش 6 ط. باريس و ص 140 وهامش 4 ط الرباط.
جامع القرويين 804/3
الكتاب الذهبي 172
مدرسة الامام البخاري 465/2.

(158) سلوة 13/2 شجرة النور 356.

(159) انظر عنه سلوة 2 / 28 - 29.

(160) انظر عنه فهرس الفهارس 1 / 224 - 227.

(161) سبقت مراجع ترجمة هؤلاء.

وتتلمذ عليه طائفة من الاعيان، منهم عبد القادر ابن شقرون الفاسي[162] وعبد السلام بن محمد بن الشاذي البكري الدلائي وأبو القاسم الزياني [163] وسليمان الحوات [164] وسواهم.

وممن روى عن المترجم وأجازه إجازة عامة محمد بن عبد الصادق ابن ريسون [165]. اشتغل عبد القادر بوخريص بالتدريس بفاس، بجامع القرويين ومدرسة الصهريج وغيرهما، ومما كان يدرسه صحيح البخاري والتفسير ورسالة ابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل وألفية ابن مالك.

ويحدثنا تلميذه سليمان الحوات عن أسلوبه في التدريس فيقول :

«... فكان يقتصر في التدريس على حل المتن وجلب مالا بد منه من الانقال، مع البحث التام على طريقة التحقيق، يختم الكتاب لذلك في اسرع زمان»[166].

فأسلوبه يشتمل على شرح المتن، مع الاستعانة بالنقول الضرورية لهذا الشرح، دون استطراد وحشو، ولا يكتفي بإيراد النصوص المنقولة. بل يحققها ويوازن بينها مستعملا فكره فيها، وهي طريقة جيدة للتدريس، تدل على تمكنه من المواد العلمية التي كان يدرسها، وعلى وعيه المتفتح بطرق التبليغ والتعليم.

وقد تولى المترجم مهمة القضاء بمدينة فاس في عهد المولى اسماعيل سنة 1135، حيث كان عمره اذاك خمسة وثلاثين عاما، واستمر بهذه الوظيفة نحو أربع وثلاثين سنة [167]، أي الى سنة 1187 هـ قبل وفاته بحوالي عشرة أشهر إذ عزله السلطان المولى محمد بن عبد الله لكبر سنه، وكان عمره حينئذ تسعا وستين سنة، وقد عرف أثناء قيامه بهذه المسؤولية، بالعفة والنزاهة والعدل [168].

---

(162) ستأتي ترجمته في جزء لاحق من هذا البحث

(163) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 103 وما بعدها ط. الرباط الترجمانة الكبرى تحقيق الفيلالي 56 وما بعدها.

(164) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 242 ط. الرباط.

(165) سبقت ترجمته في الجزء الأول من هذا البحث

(166) سلوة 13/2 نقلا عن ثمرة أنسي.

(167) سلوة 13/2 نقلا عن ثمرة أنسي.

(168) المصدران السابقان شجرة 356.

حظي بوخريص بعناية وتقدير البلاط العلوي، اذ نصبه المولى اسماعيل قاضيا له بفاس، كما سبق، وأقره على هذا المنصب المولى عبد الله بن اسماعيل، الذي كان بوخريص ممن غسلوه عند وفاته سنة 1171 (169)، وهذا ينبىء عما كان للمترجم من منزلة رفيعة في عهد هذا السلطان.

ولما تولى الملك المولى محمد بن عبد الله أقره كذلك على منصبه القضائي، وأضاف له مزية أخرى وهي أنه اختاره ليكون من الفئة التي يكلفها بالتأليف الحديثي (170). وكان من جملة ما عهد اليه به شرح الثلث الثاني من مشارق الأنوار للامام الصغاني، وعرفنا سابقا أن الثلث الأول شرحه التاودي ابن سودة، والثلث الأخير تكلف بشرحه ادريس العراقي وأكمله ابنه عبد الله.

وقد حضر عبد القادر بوخريص تسلم الساعة التي أهداها المولى محمد الثالث إلى غريفة القرويين سنة 1177 هـ (171).

قال في حق المترجم تلميذه سليمان الحوات :

«الفقيه العلامة الطلق البشرى الكثير الرعاية المشارك في العلوم، المدرس بجملة من الكتب في أوضاع مختلفة في الوقت الواحد بمجلس متحد، القاضي العدل في أحكامه، بل آخر القضاة من أهل العلم» (172).

ووصفه محمد الكتاني بقوله :

«الشيخ الامام العلامة، الفقيه المدرس الفهامة، المشارك المتفنن، الدراكة المتقن، القاضي...» (173).

---

(169) نشر حوليات المثاني للقادري تحقيق د. نورمان سيكار تقديم د. عبد الهادي التازي. ص 81.

(170) وقد عده كل من الدكتورين عبد الهادي التازي في جامع القرويين 804/3 ويوسف الكتاني في مدرسة الامام البخاري 465/2 من أعضاء مجالس محمد بن عبد الله وهذا ليس صحيحا فالذي كان من أعضائها هو ابنه عبد الرحمان بن عبد القادر بوخريص انظر الاستقصا 66/8 والفتوحات الالهية مقدمة المدني ص: لا.
والإعلام 116/5. والإتحاف 184/3.

(171) جامع القرويين 804/3.

(172) سلوة 2 / 12 - 13 نقلا عن ثمرة أنسي.

(173) سلوة 12/2.

ولم أطلع من تآليفه سوى على شرحه للثلث الثاني من مشارق الأنوار، السالف الذكر.

توفي عبد القادر بوخريص سنة 1774/1188 وعمره سبعون سنة. ومما قيل في تاريخ وفاته :

طـــابَ نشراً طـــيٌّ لحدِ ضمَّ يومـــا روضَ مجدِ
بل عفا مِن بعد قاضي مصر فـــاس رسمَ رشد
مَـن كعبـد القـــادر الحبر بنهج الحق يهدي ؟
كان في ظـــل الامـــاني رافـــلا في بـــرد سعـــد
فـــإذا التـــاريخ يشدو هـــو في جنـــة خلـــد [174]

إدريس العراقي [175]

(1120 — 1183 هـ 1705 — 1769 م)

أبو العلاء إدريس بن محمد بن إدريس بن حمدون بن عبد الرحمان العراقي الحسيني الفاسي. اشتهر هو وأسرته بالنسبة الى العراق، لقدوم سلفهم منه [176] وقد عرفت هذه الأسرة بالعلم والفضل، فوالد المترجم أبو عبد الله محمد كان

---

(174) المصدر السابق 13/2.

(175) انظر عنه :
سلوة 143-141/1 (وفيه مصادر لترجمته) فهرس الفهارس 825-818/2 (وذكر مصادر لترجمته) مؤرخو الشرفاء 341 وهامش 3 ط. باريس (ذكر مصادر لترجمته).
النشر الكبير 282/2 أ — 283 ب. الإشراف 9 لابن الحاج.
غاية الأمنية هنا وهناك (1 - 53) عبد الواحد الفاسي، الفكر السامي 124/4.
دليل مؤرخ المغرب 81/1 ,191. 319/2 جامع القرويين 804/3
شجرة النور 356 رقم 1422 المزايا محمد الناصري
النبوغ 1 / 292-293,300 الكتاب الذهبي 172.
الحياة الأدبية 295 - 297 معجم المحدثين 18.
الدرر الفاخرة 48 مدرسة الامام البخاري 1 / 252-254. 464/2.
مجلة دار الحديث الحسنية ع 3 - 1982/1402 ص 109-110,122
مجلة دعوة الحق إعداد: 227 - 1983/1403 ص 49. و 240 - 1404 / 1984 ص 29. و246-1405/1985 و263-1407 / 1987 ص 101.

(176) النبوغ 1 / 292.

علامة نحويا [177]، وولدا المترجم عبد الله [178] وعبد الرحمان [179] كانا عالمين محدثين.

أما إدريس العراقي فهو سلطان المحدثين في عصره ورئيسهم وأعلمهم بالصناعة الحديثية، قل نظيره في وقته، بل عدم أو كاد، في الحديث والرواية والاسناد، والضبط والتخريج والانساب وغيرها [180] وحتى لقب بـ «سيوطي زمانه» [181]، وقيل عنه إنه أحفظ من ابن حجر العسقلاني [182].

ولد العراقي بفاس، أما تاريخ ودلاته فقدقال عن نفسه في أول كتابه «فتح البصير» : «كان ـــ يعني والده ـــ يذكر لي أن ولادتي كانت سنة عشرين ومائة وألف تقريبا»[183]، تعلم المبادىء الأولية، ثم شرع في طلب العلم، فأولع بدراسة الحديث منذ بلغ الرابعة عشرة من عمره. أي في سنة 1134 هـ وقرأ من كتبه الكثير[184] ولازم الشيوخ، ورحل الى العلماء من أجل علو السند وكثرة الرواية، ومن أشهر شيوخه والده محمد العراقي ومحمد المسناوي الدلائي[185] وانب زكري[186] وعلي الشدادي وميارة الصغير[187]، ومحمد الصغير الفاسي[188] وأحمد بن مبارك السجلماسي[189] وأحمد بن سليمان الاندلسي الفاسي

---

(177) انظر عنه سلوة 2 / 28 - 29 .17/3.

(178) ستأتي ترجمته ص 320 ـــ 322

(179) انظر عنه سلوة 3 / 14 - 15 شجرة 380 رقم 1519 و 1520 معجم المحدثين 22.

(180) سلوة 141/1.

(181) فهرس الفهارس 819/2 نقلا عن التذييل المنتخب للوليد العراقي.

(182) قال هذا الشيخ عمر الفاسي الآتي الترجمة.

(183) فهرس الفهارس 818/2.

(184) فهرس الفهارس 818/2 نقلا عن فتح البصير.

(185) انظر بعض مصادر ومراجع ترجمته في الصفحات السابقة.

(186) انظر عنه سلوة 1 / 158 - 161. الاستقصا 127/4. إيضاح المكنون 122/1 - 276/2. فهرس الخديوية 2 / 121 ,184. مدرسة الامام البخاري 1 / 250 - 251.

(187) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 318 وهامش 9 ط. باريس.

(188) انظر عنه عناية أولي المجد 85.

(189) سبق ذكر مصادر ترجمته وانظر عنه كذلك الحياة الأدبية 257 (هناك مصادر لترجمته).

وعلي الحريشي[190] ومحمد بن عبد السلام بناني[191] ومحمد جسوس[192] والكبير السرغيني والتاودي ابن سودة[193]، وغيرهم من كبار علماء عصره في كل من فاس ومكناس[194].

ويروي العراقي عامة عاليا عن علي بن أحمد الحريشي وأحمد بن سليمان وأحمد بن عبد الله الغربي الرباطي [195] ومحمد بن عبد السلام بناني ومحمد جسوس (وسمع عليه من كتب الحديث ما يستغرب سماعه فضلا عن وجوده وضبط عليه وقيد وطبق)، وأحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي [196].

وقد أجازه جل شيوخه في الرواية عنهم، وتوجد نصوص إجازاتهم له، مصدرة بترجمته في فهرسته [197].

ومن تلاميذه في علم الحديث ولداه عبد الله وعبد الرحمان العالمان المحدثان، وابن عمه زيان ومحمد بن أحمد الصقلي [198] وغيرهم. لكن أشره تلاميذه هو محمد بن عبد السلام الناصري [199] الذي كان أكبرهم سعة رواية، وعلو إسناد، وطول بحث وتنقيب وجمع ولقاء أهل الفن وقد أجاز المترجم كثيرا من أهل عصره، واطلع عبد الحي الكتاني على إجازات كثيرة منه لهم، ولا حظ أن هذه الاجازات تقتصر على أهل البوادي بالمغرب دون أهل الحواضر، فعلق على ذلك بقوله :

«وهذا عجيب، كأن الناس كانوا لايظنون أن ما كان عنده علم، على

---

(190) انظر عنه فهرس الفهارس 342/1 - 344.

(191) انظر عنه الحياة الأدبية 253 (ذكر هناك مصادر لترجمته).

(192) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث

(193) سبقت ترجمته ص 300 — 309

(194) سلوة 141/1-142. فهرس الفهارس 822/2. الفكر السامي 124/4. شجرة النور 356.

(195) ستأتس ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث

(196) فهرس الفهارس 822/2.

(197) المصدر السابق 822/2-823.

(198) سلوة 142/1-143. شجرة النور 356. وقد أخطأ صاحب المرجع الأخير، فذكر من تلاميذ المترجم الشيخ أحمد الصقلي، والحقيقة أن الذي تتلمذ عليه هو ابنه محمد بن أحمد الصقلي. انظر سلوة 143/1.

(199) ستأتي ترجمته في جزء لاحق من هذا البحث.

أنه العلم الثمين الذي إذا نادى المنادي يوم القيامة : أين العلماء ؟ لم يجبه الا هو وأمثاله ومن سلك مسلكه» [200].

لقد كان العراقي حامل لواء الحديث في زمانه، إماما محققا في علمه، حتى انفرد بذلك في عصره واشتهر، تفرغ لتدريس كتب الحديث وإقرائها وخاصة «صحيح البخاري» الذي كان يتقنه حفظا وضبطا، رواية ودراية، وكانت قراءته له ولبقية كتب الحديث قراءة تحقيق وضبط، وإتقان واستدراك، كما هو شأنه عندما قرأ «الجامع الكبير» للسيوطي حيث استدرك عليه نحو عشرة آلاف حديث، قيدها كلها في طرر نسخته [201]، غير ذلك كثير بالنسبة لكتب السنة والتفسير وغيرها، كان يستدرك ويعقب على كل ما يقرأ.

وقد وهبه الله تعالى حافظة فريدة، فكان يستحضر ما يسأل عنه من مراتب الأحاديث غالبا، وكان مشارا له في ذلك، ويروى أن شيخه الحافظ أحمد بن مبارك اللمطي كان يبالغ معه في تحقيق بعض مسائل الحديث، فكان يشير بالرجوع اليه فيه [202].

وللاستزادة من معرفة مدى تفوق العراقي في علم الحديث وتضلعه فيه، أورد نصوصا تؤكد اعتراف وشهادة بعض شيوخه ومعاصريه بذلك. قال ابن عمه الوليد العراقي في «التذييل المنتخب، فميا لفضلاء الشعبة العراقية من المآثر وجب» :

«كان إماما في علم الحديث محققا فيه، وانفرد بذلك في وقته فكان لا يقاومه فيه أحد، واعترف له بذلك علماء زمانه وشيوخه وأقرانه، فكان يلقب بسيوطي زمانه... كان الشيخ ابن المبارك يدرس كبرى الشيخ السنوسي ؛ فجرى ذكره لبعض الأحاديث، فسأل صاحب الترجمة عمن خرجه، فذكر له على البديهة

(200) فهرس الفهارس 823/2.

(201) المصدر السابق 820/2-821. مدرسة البخاري 253/1-254 غير أن صاحب الكتاب الأخير ذكر في 464/2 أن عدد هذه الاستدراكات نحو ستة آلاف حديث. أما في سلوة 141/1 فهي تنيف على الخمسة آلاف. والصحيح هو أنها نحو عشرة آلاف حديث حسبما قدرها تلميذ المترجم محمد بن عبد السلام الناصري. انظر المصدر الأول.

(202) فهرس الفهارس 319/2 نقلا عن التذييل المنتخب.

ستة طرق، فقال له : لله درك ! لقد تعب ابن حجر ولم يخرج له الا طريقين»[203].

وحكى الوليد العراقي كذلك في كتابه السابق وفي مؤلفه «الدر النفيس» أيضا ما نصه :

«أخبرني الثقة عن الشيخ العلامة المحدث الأديب التاريخي أبي عبد الله محمد ابن عامر التادلي أنه سمع شيخه الصدر أبا حفص عمر بن عبد الله الفاسي[204] يقول في شأن صاحب الترجمة : إنه أحفظ من ابن حجر. وبالسند إلى الشيخ المذكور أنه كان يقول لتلامذته في شأن صاحب الترجمة : «قوموا إلى سيدي وسيدكم» [205].

ومما نلاحظ من هذين النصين أن عالمين محدثين هما ابن المبارك وعمر الفاسي شهدا بتفوق العراقي على ابن حجر، وأن هذه الشهادة جاءت بناء على ما عرفا فيه من طول باع في العلم الشريف.

وممن شهد له بالنبوغ في الحديث من شيوخه كذلك، محمد جسوس، حيث قال في إجازته له :

«إنه ممن حاز قصب السبق في علم الحديث حفظا ورواية ودراية ووصل في ذلك إلى غاية الغاية، بحيث لم يصل اليها أحد من أهل عصرنا فيما نعلم»[206].

وأحمد بن عبد الله الغربي في إجازته له :

«هو في المحل الأعلى، والموضع الأعز الأجلى، حفظا وإتقانا، وتمييزا لحال المتون ورواتها من الصحيح الثابت فما دونه، يكاد لا يشذ عنه متن إلا ويعرفه، ويعرف الرواة، من طبقات العدالة وطول الصحبة إلى ما دون ذلك» [207].

---

(203) المصدر السابق سلوة 142/1.

(204) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث.

(205) فهرس الفهارس 819/2 سلوة 142/1.

(206) سلوة 142/1 فهرس الفهارس 820/2.

(207) فهرس الفهارس 820/2.

وقال الحافظ مرتضى الزبيدي المصري في معجمه، لما ترجمه بعد أن حلاه بحافظ العصر : «... فلم يكن في وقته من يدانيه في هذا الفن ــ يعني علم الحديث ــ حتى أشير إليه بالحفظ...» [208].

وقال عنه المحدث محمد بن عبد الصادق ابن ريسون في فهرسته :

«شيخنا المحدث الحافظ سيوطي زمانه، وفريد عصره وأوانه، وقد انفرد بعلم الحديث في وقته» [209].

ووصفه القاضي ابن الحاج في كتابه «الإشراف» بقوله :

«العلامة خاتمة حفاظ الحديث بالديار المغربية، فاق أهل عصره في الصناعة الحديثية، لفظا ورواية وضبطا وإتقانا، إلى القدم الراسخ في معرفة طرق التجريح والعديل»[210]. إلى غيرها من الشهادات، واعترف له بالتفوق جميع معاصريه حتى شيخه التاودي ابن سودة[211].

ومن مميزات الحافظ العراقي عن محدثي المتأخرين تجاهره بإحياء السنن الميتة، في العبادات وغيرها، حاطا من شأن ما جرى به العمل، كيفما كان اذا كان يخالفها، فقد ذكر تلميذه ابن عبد السلام الناصري في كتابه «المزايا» ما نصه :

«سنة القبض والرفع في المواطن الثلاثة كان محافظا عليها شيخنا إدريس بن محمد العراقي الفاسي، وكان يحملنا عليها أيام قراءتنا عليه» [212].

ألف العراقي عدة كتب معظمها في الحديث والفقه، من بينها :

أ. الحديث

1 ــ شرح على «شمائل» الامام الترمذي.

---

(208) المصدر السابق.

(209) فهرس الفهارس 822/2.

(210) المصدر السابق.

(211) المصدر السابق 820/2.

(212) المصدر السباق 823/2.

2 ــ شرح الثلث الأخير من «مشارق الأنوار» للصغاني [213]، بأمر من السلطان المولى محمد بن عبد الله. واسمه «تكميل المباني، وتوضيح المعاني، لما أغفله شارح الصغاني [214] وتوفي قبل أن يتممه، فأكمل شرح ما بقي منه ولده عبد الله بأمر السلطان كذلك [215].

3 ــ شرح «إحياء الميت، في فضائل أهل البيت»، للسيوطي [216].

4 ــ شرح المائة حديث الأولى من «الجامع الصغير»، لم يكمل.

5 ــ تخريج أحاديث الشهاب القضاعي.

6 ــ تكميل مناهل الصفا، في تخريج أحاديث الشفا، للسيوطي.

7 ــ «الدرر اللوامع، في الكلام على أحاديث جمع الجوامع»[217] : قصد به التعليق على «الجامع الكبير» للسيوطي، فكتب قطعة من أوله لا تزال في مسودتها [218].

8 ــ «فتح البصير، في التعريف بالرجال المخرج لهم في الجامع الكبير»[219].

9 ــ ذيل الجامع الكبير : لم يدونه على حدة، وتركه ــ بخطه الدقيق ــ في إلحاقات موزعة على هوامش نسخته من الجامع الكبير [220]. ويقدر تلميذه

(213) مخطوط عدد 1439 ك و 2698 ك في مجلد ضخم.

(214) مجلة دار الحديث الحسنية ع 3 ــ 1982/1402 ص 110.

(215) سلوة 13/3. الفتوحات الالهية مقدمة المدني ص: ي.

(216) مخطوط عدد 1373 ك، ضمن مجموع. وقرض له عليه شيوخه ابن مبارك وابن زكري وابن سليمان.

(217) مخطوط الخزانة الملكية رقم 12647، ضمن مجموع.

(218) مجلة دار الحديث الحسنية ع 3-1982/1402 ص 110.

(219) مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2/1383: قطعة من أوله: مبيضة المؤلف.
وما في مجلة دار الحديث الحسنية ع 3 - 1982/1402 ص 122 من أن هذا التأليف على الجامع الصغير هو خطأ. انظر فهرس الفهارس 819/2 ط. 2 النبوغ 292/1.

(220) نسخة كاملة من الجامع الكبير في تسعة مجلدات، تتوزع استدراكات العراقي بينها، باستثناء المجلد الرابع، بالخزانة الملكية عدد 3872. والمجلدات الرابع والخامس من تجزئة عشرة بالخزانة العامة بالرباط 1935 ك.

محمد بن عبد السلام الناصري هذه الاستدراكات بنحو عشرة آلاف حديث، ويضيف أنها لو جردت لكونت مجلدا، وبعض هذه الاستدراكات تتجاوز استدراك الأحاديث، وتضيف تعليقات أخرى موضوعية [221].

10 — نبذة يسيرة في أحاديث البسملة والحمدلة [222].

11 — تأليف ذكر فيه اعتناء جماعة من الشيوخ بالصلاة والسلام على آل الانبياء كلهم، واستعمالهم ذلك في ابتداء دواوينهم المؤلفة في الحديث، وبين فيه وجه ذلك وقرره، وكتب عليه بالتصحيح جماعة من أهل عصره [223].

ب. التفسير :

1 — حاشية على تفسير الثعلبي [224].

ج. الفقه :

1 — حاشية على كتاب الرقائق للحضرمي.

2 — رفع الالتباس، فيما ورد في القيام للناس [225].

د. فهرسة مستخرجة من كتابه «فتح البصير» : سماها «تأليف في نسبي»[226]، ذكر فيها أسماء شيوخه وما قرأ عليهم من كتب وإجازاته من مشايخه، وإجازاته لتلاميذه، ومن الغريب أن هذه الاجازات تقتصر على الطلبة البدويين، وكأن طلبة المدن لاحاجة لهم بها لوجودهم في الحواضر [227].

الى غير ذلك من الاختصارات والتخريجات والاستدراكات والأجوبة والطرر والهوامش، التي لو جمعت لجاءت في مجلدات [228].

---

(221) فهرس الفهارس 820/2-921. مجلة دار الحديث الحسنية ع 3-1982/1402 ص 109-110.

(222) مخطوط عدد 1419 د، ضمن مجموع، ورقة 9 ب — 11 أ.

(223) سلوة 141/1.

(224) الحياة الأدبية 296. فهرس الفهارس 821/2 نقلا عن معجم الزبيدي.

(225) مخطوط عدد 1373 ك، ضمن مجموع.

(226) فهرس الفهارس 822/2. دليل مؤرخ المغرب 81/1.

(227) فهرس الفهارس 823/2.

(228) سلوة 141/1 مدرسة الامام البخاري 254/1

وأورد هنا ملاحظتين حول ما كتبه الدكتور محمد الأخضر في كتابه «الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية» [229] عند إيراده لتآليف العراقي :

1 ــ ذكر أن كتب العراقي «كلها في الفقه والحديث، الا واحدا في نسبه» مع أن المترجم كتب كذلك في التفسير، فقد سبق ذكر حاشيته على تفسير الثعلبي، وذكرها الأخضر نفسه، وكتب أيضا في التاريخ ، حيث اختصر تاريخ الخطيب [230]، الذي ذكره كذلك الأخضر نفسه.

2 ــ أورد من جملة مؤلفات المترجم شرح ربع مجمع البحرين للصغاني، وهذا ليس صحيحا، فالعراقي لم يشرح هذا الكتاب للصغاني. بل شرح مشارق الأنوار له، وهو خطأ وقع فيه قبل الأخضر الحافظ مرتضى الزبيدي المصري في معجمه لما ترجم للعراقي، وقد نقل هذا مؤلف فهرس الفهارس، ونبه على ما فيه من خطإ [231].

توفي إدريس العراقي بفاس في شهر شعبان عام 1183 هـ / نوفمبر ــ دجنبر 1769 م ودفن بالزاوية الصقلية [232].

عبد الله العراقي [233]

(ت 1234 هـ / 1818 م)

أبو محمد عبد الله بن إدريس بن محمد بن إدريس بن حمدون الحسني العراقي الفاسي، كان محدثا مشاركا في الفقه والتفسير والعربية والسير وكتب الوعظ.

---

(229) ص 296 - 297.

(230) فهرس الفهارس 819/2.

(231) 821/2 هامش 1.

(232) سلوة 143/1 فهرس الفهارس 818/2.

(233) انظر عنه :
سلوة 13/3-14 ,15 (وذكر هناك مصادر لترجمته)
شجرة النور 380 رقم 1519 و 1520 وذكر في :
فهرس الفهارس 2 / 824 ,825
النبوغ 293/1 ,300
الفتوحات الالهية مقدمة المدني ص: ي
الحياة الأدبية 271

ولد بفاس ودرس على جماعة من علمائها، وعمدته منهم والده إدريس[234]، وسمع بعض صحيح البخاري على محمد جسوس [235]، وغيرهما.

وقرأ عليه تلاميذ عديدون من بينهم ولده محمد [236].

ولي المترجم الوراقة بمسجد القرويين بعد وفاة والده، فكان يسرد به كتب الحديث والوعظ، نحوا من خمسين سنة [237].

وصفه محمد الكتاني بقوله :

«... وكان من أهل الغفلة في أمور الدنيا والنية الصالحة، كثير التخلق بالأخلاق النبوية، والآداب المصطفية، حسن الظن بعباد الله لا يغتاب أحدا ولا يذكره بسوء، كثير التواضع لا يرى لنفسه مزية على أحد من خلق الله، مليح الخطاب، حفيل المعاشرة، مؤثرا للخمول والاهمال، والتقشف والاقلال [238]». ومن هذا نلاحظ أن المترجم كان لا يكتفي بالدراسة النظرية للحديث، ولكنه يطبق ما فيه من أحكام، في حياته ومعاملاته مع الآخرين.

ومما يدل على تمكن عبد الله العراقي من علم الحديث أن السلطان المولى محمد بن عبد الله كلفه بإكمال شرح الثلث الأخير من مشارق الصغاني، بعد أن حال الموت بين والد المترجم وبين إتمام هذا الشرح.

قال محمد الكتاني :

«وهو الذي أكمل شرح أبيه للثلث الأخير من الصغاني وأخرجه من مبيضته برسم سلطان الوقت» [239].

---

(234) سبقت ترجمته ص 312 ــ 320

(235) ستأتى ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث.

(236) انظر عنه سلوة 14/3.

(237) سلوة 13/3.

(238) سلوة 13/3-14.

(239) سلوة 13/3.

من مؤلفات المترجم ما يلي :

1 ــ تكميل شرح المشارق [240] المذكور، بأمر سلطاني.

2 ــ اختصار الحلية لأبي نعيم الاصفهاني [241].

توفي عبد الله العراقي بسبب الوباء عام 1234 هـ [242] بمدينة فاس.

(يتبع)

(240) سلوة 3/13-15. فهرس الفهارس 824/2 كلاهما نقلا عن الاشراف لابن الحاج.
النبوغ 300/1. وهذا المؤلف والذي يليه يوجدان بالخزانة الكتانية بخط مؤلفهما بفاس.

(241) سلوة 14/3 فهرس الفهارس 824/2 نقلا عن الاشراف.

(242) سلوة 14/3 نقلا عن الاشراف. شجرة النور 380. وفي النبوغ 300/1 أنه توفي سنة 1254 وهو خطأ.